

التضمين عند النحاة

م.م. فائز رمضان لعيبي

كلية الإدارة والاقتصاد / جامعة ميسان

رقم الموبايل : ٠٧٧٠٥٥٥٥٥١٦

الإيميل : Faiz84.ri.gimail.com

الملخص

يتناول هذا البحث أسلوب التضمين عند النحاة ، ويهدف إلى دراسة هذا الأسلوب عن طريق تعريفه لغة واصطلاحاً ، ثم يبين لنا من تطرق له أولاً من النحاة وهو ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء ، حيث ذكره في أكثر من موضع ، وبين لنا البحث ما الغرض من أسلوب التضمين في تفسير الكثير من المعاني في القرآن الكريم والشعر العربي ، فالتضمين يدخل على الأفعال والأسماء والحروف ، وفسر لنا طبيعة الاختلاف إذا ما كان التضمين قياسياً أو سماعياً ، فقد اختلف القدماء في طبيعة التضمين ، وكان اختلافهم في قياسية التضمين وعدمها ، فكان فريق منهم يجد أن التضمين مجاز ، بينما نجد فريقاً آخر يرى إن التضمين حقيقة ، لكن الكفة كانت تميل إلى قياسية التضمين ، ومن ثم تناول البحث اختلاف النحاة في حقائق التضمين ، وقد استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي عن طريق دراسة بعض الشواهد النحوية في القرآن الكريم والشعر العربي .

الكلمات المفتاحية : التضمين ، النحاة.

Inclusion at grammarians

Assistant Lecturer faiz ramadhan luaibi

College of Administration and Economics/

mobile number : 07705555516

Email: **Faiz84.ri.gimail.com**

Summary:

This research deals with the method of embedding among the grammarians, and it aims to study this method by defining it linguistically and idiomatically. From the method of embedding in the interpretation of many meanings in the Noble Qur'an and Arabic poetry, the embedding enters into verbs, nouns and letters, and he explained to us the nature of the difference if embedding was syllogistic or auditory. He finds that embedding is a metaphor, while we find another group that believes that embedding is a fact, but the balance was inclined to standard embedding, and then the research dealt with the grammarians' difference in the facts of embedding. Arabi.

Keywords: Inclusion, grammarians.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير البشيرة محمد صلى الله عليه واله وصحبه وسلم ، أما

بعد :

يُعد التضمين من الأساليب التي جرى الخلاف فيها بين نحاة البصرة والكوفة ، إذ رفض نحاة البصرة أن يكون لحرف الجر أكثر من معنى وبذلك رفضوا القول بتناوب حروف الجر ، الذي قال به نحاة الكوفة وتابعهم في ذلك آخرون فتشكل الخلاف في بينهم في التضمين وأخذ يتسع .

ولكثر الأساليب اللغوية التي استخدمها العربي في كلامه لإصابة القصد منه، وبيان المعنى. عُد أسلوب التضمين أحد هذه الأساليب التي وردت في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتراث الشعري والنثري في عصر الاحتجاج، والعصور اللاحقة ..

ولأسلوب التضمين حضوره لدى الأدباء والكتاب في التعبير عن أفكارهم ، وتأليف صورهم ومعانيهم، وعلى أساسه فسّر علماء النحو والبلاغة جانباً مهماً من الدلالات اللغوية بين عناصر التركيب، فوجهوا الإعراب والدلالة الصرفية والعناصر الجمالية على وفق مفهومه.

إن أسلوب التضمين متداول في لغة العرب، وجار على ألسنتهم ، فقد خاض به المفسرون ولا سيما المتأخرون منهم ، فدخل في كثير من المجالات ، والألفاظ ، منها ما دخل على حروف المعاني ليظهر رمزيتها ، ويوضح بها الحرف مع الفعل .

وأسلوب التضمين أحد أشهر أساليب العربية التي تناولها المفسرون في الآيات القرآنية الكريمة والشعر ، إذ أنه يأتي بعد أسلوب الحذف والإضمار في علم البلاغة من حيث الأهمية^(١) ، إذ إن التضمين لا يأتي في كلام العرب إلا لفائدة زائدة كما قال السيوطي، لتؤدي الكلمة فيه مؤدًى كلمتين كما قال ابن هشام النحوي ، وهو بحر لا ينضب كما عند ابن جني في خصائصه .

أولاً : التضمين لغة :

(١) الإتقان في علوم القرآن ، السويطي ، ١٤٤/٢ .

وهو جعل الشيء في شيء يحويه ، ومن ذلك قولهم : ضمنت الشيء ، إذا جعلته في وعائه ^(١) .

وكذلك في لسان العرب : التضمين هو : ((ضمن الكفيل ، ضمن الشيء وبه ضمناً : كفل به ، وضمنه إياه : كفله ، ويقال : ضمنت الشيء أضمنه ضمناً ، فأنا ضامنٌ وهو مضمون)) ^(٢) .

في الصحاح فهمت ما تضمنه كتابك ، أي ما أشتمل عليه وكان في ضمنه ^(٣) . وكذلك في المعجم الوسيط أن الضمن هو : باطن الشيء وداخله : يفهم من ضمن كلامه كذا : أي دلالاته ومرامييه ^(٤) ،

وجاء أيضاً على أنه : " ضمن الشيء وبه كلام ضمناً وضماً فهو ضامن وضمين كفله ، وضمنته الشيء تضميناً عني : غرمته فألتزمته ، وما جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه " ^(٥) .

وفي تاج العروس إذ جاء الزبيدي بتعريف معنى التضمين في قوله : " ضمنته الشيء تضميناً ، فضمنته عني أي غرمته فألتزمته ، وضمن الشيء إذا أودعه إياه ، كما تودع الوعاء المتاع ، والميت والقبر ، وقد تضمنته هو " ^(٦) .

ثانياً : التضمين اصطلاحاً :

(١) مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس الرازي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ٣/٢٩٢ .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، محمد بن جمال الدين الأنصاري الأفرقي المصري ، تحقيق : عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، مادة (ض م ن) ، ٤/٢٦١٣ .

(٣) ينظر : الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار الملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٤ : ٦/٢١٥٥ .

(٤) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة للطباعة والنشر ، أستانبول ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، مادة : ١/٥٤٥ .

(٥) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي محمد بن يعقوب بن محمد أبو طاهر مجد الدين الشيرازي ، دار البابي الحلبي وأولاده للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط ٢ ، مادة ضمن ٧/١٤٦ .

(٦) تاج العروس ، الزبيدي ، محمد بن محمد بن محمد أبو الفيض ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، د.ت : ٣٤/٣٣٤ .

التضمين في الاصطلاح التوسع في استعمال لفظ يجعله مؤيداً معنى لفظ آخر مناسب له ، فيعطي الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم ، وهذا ما أشار إليه سيبويه قائلًا : "مثل ما قال: من كان أخاك، قول العرب ما جاءت حاجتك، كأنه قال: ما صارت حاجتك ، ولكنه ادخل التأنيث على ما ، حيث كانت الحاجة، كما قال العرب : من كانت أمك ، حيث أوقع من على مؤنث وإنما صير جاء بمنزلة كان في هذا الحرف وحده لأنه بمنزل المثل ، كما جعلوا عسى بمنزلة كان في قولهم : ((عسى الغوير أبوساً)) ولا يقال: عسيت أخانا ، وكما جعلوا لدن مع غدوة منونة في قولهم : لدن غدوة ، ومن كلامهم أن يجعلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام " (١) هذا في ما يخص النحو .

إما في البلاغة فقد جاء التضمين البلاغي يدل على أخذ شاعر قول شاعر آخر وبناء شعره أو بعض شعره عليه ، وأول من حام حول هذا المعنى هو ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء في أكثر من موضع ، لقد ورد عنده مصطلح الاحتذاء ، إذ قال : ((لما نفذ شعر أبي متمم بن نويرة جعل أبنه متمم يزيد في الاشعار ويصنعها وإذا كلام دون كلام متمم ، وإذا هو يحتذي على كلامه أي أبيه ، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها فلما توالى لك علمنا أنه يفتعله)) (٢) .

والتضمين عند بعضهم: "إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه ، لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين" (٣) ، و "إن الغرض من التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد" (٤) .

وقد جاءت كثير من الأبيات الشعرية حول معنى التضمين ، فقد بين ابن المعتز في كتابه البديع أن التضمين من محاسن الكلام دون أن يعرفه (٥) ، وأورد أمثله عليه منها ، قال الأخيطل:

وَلَقَدْ سَمَا لِلْخُرْمِي فَلَمْ يَقُلْ بَعْدَ الْوَعَى لَكِنْ تَضَائِقَ مَقْدَمِي (١)

(١) الكتاب ، سيبويه ، عمرو بن عثمان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة - مصر ، ١٩٧٧ : ٥١/٧ .

(٢) ينظر: طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام ، ص ٤٠ .

(٣) مغني اللبيب ، ٧٩١/٢ .

(٤) الأشباه والنظائر : ١٣/١ .

(٥) ابن المعتز ، البديع ، ص ٨٢ .

والاستزادة كما جاء عند التبريزي في قوله ممن علق على شعر ابي تمام في قوله :

إذا تذكرتك ذكرتني قد ذل من ليس له ناصر^(٢)

هذا من التضمين الذي يعرفه المحدثون كانوا في الأمر يسمونه استزادة وهو المصراع في شعر قديم ينشده النحويون^(٣) كما في البيتين :

قَامَتْ تَبْكِيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ

تَرَكْتَنِي فِي الدَارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ^(٤)

ونجد من يتبع ابن سلام في توضيح معنى التضمين في بعض أبياتهم الشعرية ، فقد اهتم في حديثة عن معنى التضمين وذلك من خلال الأبيات الشعرية التي كتبها الشعراء من ضمنهم امرؤ القيس ، فقد جاء في كتاب الشعر والشعراء في قول امرؤ القيس يصف المرأة قائلاً :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بَعِينَ جَازِئَةٍ حَوَاءَ حَانِيَةٍ عَلَى طِفْلِ

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بَعِينَ جَازِئَةٍ فِي ظِلِّ بَارِدَةٍ مِنَ السِّدْرِ^(٥) .

(١) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

(٢) ينظر: كتاب شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، رسالة ماجستير ، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة ، ص ٣٤٦ .

(٣) ينظر: التضمين في التراث النقدي والبلاغي ، ربي عبد القادر أحمد الرباعي ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٧ ص ٤ .

(٤) ينظر: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لأبي البركات بن الانباري، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، ص ٦٥ .

(٥) ديوان امرؤ القيس .

ثالثاً : دلالة التضمين في القرآن ومعناه :

إنَّ للتضمين دلالة قرآنية تهدف إلى توضيح معناه ، فقد أوضح البلاغيون معنى التضمين ، فقد يأتي التضمين في معناه البلاغي ، وهو أن يقوم الشاعر بالتضمين من شعر غيره مع التنبيه عليه ، إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ، وكذلك التضمين البلاغي (الاقتباس) وهو أن يكون في الكلام تضميناً من القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ^(١) ، فالفعل (خلا) يكون متعدياً بحرف الجر الباء ، أقول: خلوت به أي: انفردت به ، لكن في هذه الآية ضُمَّنَ الفعل معنى ذهبوا وانصرفوا، فجاء معنى الآية: إذا انصرفوا وذهبوا إلى شياطينهم، فقصد بالفعل خلوا معنى انصرفوا، لأنه تعدى بحرف الجر (إلى) ليدل على الفعل المضمّر ^(٢) . وقوله تعالى : ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ^(٣) فلا نقول: رفث إلى المرأة، لكن لما تَضَمَّنَ

الرفث معنى الإفشاء، أي الإفشاء إليهن بالجماع، الذي يُراد به الموافقة جاز ذلك ^(٤) ، وأكد هذا التضمين، قوله تعالى في آية أخرى : ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٥)

وكذلك في معنى التضمين في القرآن في قوله تعالى : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } ^(٦) .

قال الزمخشري : هدى أصله يتعدى باللام أو بـ(إلى) قال تعالى: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } ^(٧) .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٤ .

(٢) ينظر: التضمين النحوي في القرآن ، الدكتور محمد نديم فاضل ، ص ٣٢٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٨٧ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه ، ص ٣٦٧ .

(٥) سورة النساء ، الآية ٢١ .

(٦) سورة الفاتحة : الآية ٦ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ٩ .

وقال سبحانه: {وَأَنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ^(١) . وقد عومل هنا معاملة: {وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ} ^(٢) . أي: منصوب على نزع الخافض . وإما بتضمينه معنى: أَدْخَلَ، وَتَبَّتْ، ومنهم من فَرَّقَ بأن ما تعدى بنفسه معناه الإيصال إلى المطلوب، ولا يكون إلا فعل الله، فلا يُسَنَدُ إلا إليه {لَتَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا} ^(٣) .

ونذكر الطبري: اهدنا : ألهمنا الطريق الهادي، دلَّنا وأرنا وأرشدنا . وإلهامه إياه هو توفيقه له . والهداية في كلام العرب معناها التوفيق: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} أي: لا يوفقهم ولا يشرح للحق صدورهم، والعرب تقول: هديت فلانا الطريق، وهديته للطريق، وهديته إلى الطريق: إذا أرشدته إليه وسددته له، وكل ذلك فاشٍ في منطقها، موجود في كلامها ^(٤) .

وقال أبو حيان : الهداية : إرشاد وتبيين وإلهام ودعاء، والأصل أن يصل إلى ثاني معموليه بنفسه ^(٥).

وقال ابن عباس : أرشدنا للدين الذي ترضاه وهو الإسلام ، ويقال: ثبتنا عليه ^(٦) .

ويذكر البروسوي : عرفنا ما في كل شيء من دلالاته على ذاتك، وصفاتك، وأفعالك، وإقبال بالكلية عليك، والإعراض عما سواك ^(٧) ، وقال الآلوسي : إن تعدت إلى المفعول الثاني بنفسها كانت بمعنى: الإيصال ^(٨) .

أقول : لقد جاءت الهداية متعدية إلى مفعولين ووردت على لسان المفسرين كما رأينا بمعنى: الإلهام والتوفيق، والتعريف والإرشاد، والدلالة والإيصال والإدخال والتسديد، وكلها لا تتعدى إلى الثاني بنفسها إلا ألهم .

(١) سورة الشورى : الآية ٥٢.

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٥ .

(٣) ينظر: الكاشف ، الزمخشري : ٦٧/١ .

(٤) ينظر: جامع البيان ، الطبري : ٥٥/١ .

(٥) ينظر: البحر : ٢٥/١ .

(٦) ينظر: تنوير المقباس : ٢ .

(٧) ينظر: روح البيان : ٢١/١ .

(٨) ينظر: روح المعاني : ٩٢/١ .

ولعل تضمين (هداه) معنى: (سلكه وأسلكه) والمتعدي إلى مفعولين ^(١) . يصور مفهوم الهداية هنا على أشرف أحوالها، وأنوه صفاتها، وإنها التسليك العملي، لا القول في صراط المنعم عليهم، ومن هؤلاء ؟ إنهم : {مَنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ} ^(٢) .

لقد منَّ الله على رسوله بعد الفتح فقال: { وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } ^(٣) ، فليست الهداية كما قالوا: رجاء أو التماساً أو تعريفاً أو توجيهاً أو إلهاماً أو إرشاداً، بل تسليكاً عملياً، وأيُّ فائدة من معرفة صراط الذين أنعمت عليهم، إن لم يكن لنا من الله تسليك؟ فأنزلت الهداية على حُكم التسليك والتسيير على الصراط السوي في مسلك المهتدين، وهذا أكشف عن وجه المعنى، فالمتعدي بحرف اللام أو (إلى) يطلب الوصول إليها ولكنه قد يَشْرُدُ أو يَزِيغُ، أما المتعدي بنفسه وإلى مفعولين فيطلب من الله التسليك عليها ^(٤) .

رابعا : التضمين في الأفعال والأسماء والحروف :

يأتي التضمين عند الكثير من المفسرين في الأفعال والأسماء والحروف ولعل ابن قتيبة قد نحى هذا المنحى في كتابه " تأويل مشكل القرآن " وقد عقد باباً بعنوان " دخول بعض حروف الصفات مكان بعض " ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : ((وَأَصْلَبَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ)) ^(٥) فيرى أن حرف الجر " في " بمعنى " على " ، والمعنى : على جدوع النخل ، ويقول تعالى : ((فاسأل به خبيراً)) أي : عنه ، ويقول تعالى : ((وما ينطق عن الهوى)) أي بالهوى ، فحرف الجر " عن " بمعنى الباء ^(٦) .

(١) قال تعالى : {يَسْأَلُكَ عَذَاباً صَعَدًا} الجن : ١٧ وقال : { فَسَلِّكُهُ يَتَابِعُ } الزمر : ٢١ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٩ .

(٣) سورة الفتح : الآية ٢ .

(٤) ينظر: في المعجم الوسيط : أسلكه المكان: جعله يسلكه .

(٥) سورة طه : الآية ٧١ .

(٦) ينظر: تأويل مشكل القرآن : ٥٦٧

أما ابن هشام في " مغني اللبيب " فقد عبّر عن هذا الباب بالمرادفة ^(١) ، وأورد طائفة من الآيات على هذا المصطلح . ومن ذلك قوله تعالى : ((وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)) ^(٢) ويرى أن الحرف " عن " مرادف للحرف الآخر " من " . ويسير وفق هذا الفهم ثلّة من أهل العلم الذين لا يتأملون في الفعل الذي سبق حرف الجر ، ولا يرونه متجاوزاً لدلالته المعنوية وإنما يرون حرف الجر قد تعاور حرفاً آخر .

أما المذهب الثاني فهو الذي يُطلق على هذه الظاهرة مصطلح " التضمين " ، ويرى أن الفعل قد تضمّن معنى فعل آخر ، وحرف الجر مسوق لإتمام معنى هذا الفعل .

ومن الذين تكلموا بالتضمين في الأفعال ابن هشام ، على الرغم من ذكر الكثير من الشواهد على طريقة تضمين الحروف ، يقول : " قد يشربون لفظاً معنى لفظٍ فيعطونه حكمه ، ويسمى ذلك تضميناً ، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين نحو قوله تعالى: ((وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ)) ^(٣) ضمّن معنى تُحرموه فعدي إلى اثنين " ^(٤) أي أنهم مهما فعلوا من خير بغض النظر عن حجمه (فلن يكفروه) فالمعنى هنا لن يحرّموه أو يفوتوا أجره .

ويقول السويطي : " إيقاع لفظ موقع غيره لتضمن معناه ^(٥) . ويقول الدكتور محمد نديم فاضل : " ترى الحرف مع الفعل فيوحشك الحرف ، ويبقى الفعل قلقاً ، فإذا حملته على التضمين تمكّن الفعل وأنسك الحرف " ^(٦) كما يكون التضمين في الأسماء نحو قوله تعالى : ((مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ)) ^(٧) فقد ضمن النصره معنى الولاء أو التوجه أو القصد .

وهو يكون في الأسماء بأن يضمن اسم معنى اسم آخر ، ليفيد معنى الاسمين جميعاً ، كما ضمن لفظ حقيق معنى (حريص) ^(٨) في قوله تعالى : (حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ) ^(٩)

(١) ينظر: مغني اللبيب : ١٤٨/١

(٢) سورة التوبة : الآية ٢٥ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١١٥ .

(٤) ينظر: مغني اللبيب : ٧٦٢/٢ .

(٥) ينظر: معترك الأقران : ٣٩٨

(٦) ينظر: التضمين النحوي ، ص ١٠ .

(٧) سورة آل عمران: الآية ٥٢ .

(٨) ينظر: التضمين النحوي في القرآن ، الدكتور محمد نديم فاضل ، ص ٣٠٢ .

(٩) سورة الأعراف: الآية ١٠٥ .

خامساً: التضمين بين السماع والقياس:

لقد اختلف القدماء في طبيعة التضمين ، فكان فريق منهم يجد أن التضمين مجاز ، وأن اللفظ استعمل في غير ما وضع بقرينة جعل التضمين سماعياً لأن المجاز عندهم سماعي ، بينما نجد فريقاً آخر يرى أن التضمين حقيقة ، لأن المعنيين قصداً حقيقة جعل التضمين قياسياً^(١) .

وقد أستند جمع من العلماء إلى أن التضمين قياسي^(٢) ، ونقل أبو حيان (٧٤٥) أن الأكثرين على أنه قياسي^(١) .

(١) ينظر: النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، ط٣ ، ١٩٧٤ ، ص ٥٦٦ .

(٢) ينظر: أسلوب التضمين وأثره في التفسير، الدكتور زيد عمر عبد الله ، ص ٣٧ .

و في حين أن الفريق الذي يرى قياسية التضمين يعلل ذلك بكثرة ورود التضمين في اللغة ومن ذلك قول ابن جني عن التضمين : " ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً " (٢) .

وأما الفريق الذي يرى التضمين سماعياً ، فكان لهم حجة أي أنهم يخشون أن يصبح في لغة العرب فساد واضطراب في معاني الأفعال إذا أباحوا التضمين للناس ، وكان الإسكندري أحمد يعترض على بعض النقاد ويقول : " إنما هو باب واسع يتعلق بجميع الأفعال في اللغة العربية ، ولكننا لا نبيح التضمين على إطلاقه ، لأن هذا يجر الفوضى والفساد في اللغة ولهذا نشترط له شروطاً خاصة " (٣) .

ويكمل ذلك الأستاذ حسين والي بقوله : " أما القول بأن التضمين يفتح باب الخطأ والفساد في اللغة فهذا صحيح ، ولكن علاج هذا أن يتعلم الناس قواعد لغتهم التي تعصمهم من الوقوع في الخطأ ، فكما أن إغفال الاشتقاق والتصريف يجر إلى الخطأ فيهما ، كذلك يجر إهمال قواعد التضمين وضوابطه إلى الخطأ في الأسلوب " (٤) .

وجاء الأستاذ عباس حسن ليسند الأستاذ الإسكندري ، فيقول : " فنحن نثبت القولين بالقياس وبالسماع ، ولكننا نرجح قياسيته والقول بجواز استعماله للعارفين بدقائق اللغة وأسرارها ، ولا يصح أن نحظره عليهم " (٥) .

وقد تتحقق قياسية التضمين عند أهل اللغة في مجمع اللغة ، والذين يرون أن التضمين قياسي لا سماعي وفق شروط أهمها :-

- يجب أن يتوفر الانسجام والمناسبة بين الفعلين .
- وجود القرينة التي من طريقها نلاحظ الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس .
- وجود ملائمة التضمين يحقق الذوق العربي ، وهم بذلك يأخذون التضمين من النحو البلاغي (٦)

(١) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان ، ج٢ ، ص ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

(٣) النحو الوافي ، ٢ / ٥٩٠ .

(٤) كتاب الإملاء ، حسين والي ، دار القلم بيروت - لبنان ، ص ٨٢ .

(٥) النحو الوافي ، ٢ / ٥٨٣ .

(٦) ينظر: نفس المصدر ، ٢ / ٥٩٤ .

سادسا : اختلاف النحاة في حقائق التضمين :

قد تكلم النحاة في مسألة التضمين وكان حديثهم عن حروف الجر وإنابته بعضها عن بعض ، وقد ذكر ابن جني ذلك بقوله : " أعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف ، والآخر بحرف فإن

العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيداناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه" (١) .

وكما يعرف أن الغرض من التضمين هو : " إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى " (٢) ، واستشهد الزمخشري بذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ (٣) ، فالمعنى : لا تصرف عينك ولا تتجاوزهم (٤) .

وفي مسألة الاختلاف ، نجد أن النحاة اختلفوا في حقائق التضمين ، فقد يرى بعضهم أن التضمين مجاز مرسل ، واستدلوا على ذلك بأن اللفظ استخدم لغير معناه ، ومن ناحية أخرى يرى آخرون أن التضمين فيه جمع بين الحقيقة والمجاز ، وذلك لدلالة الفعل المذكور على معناه بنفسه ، وعلى معنى المحذوف بالقرينة ، ويوضح آخرون أن الفعل المذكور استعمل في حقيقته ، لم يأخذ معنى غيره ، ولكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب ، بمعنوية القرينة اللفظية ، وينظر فريق آخر أن اللفظ أستخدم في معناه الأصلي فيكون هو المقصود أصالة ولكن قصد بتبعيته معنى آخر ، فلا يكون من الكناية ولا الإضمار (٥) .

وقد أورد السيوطي عشرة أفعال متضمنة معنى (صار) وهي أضى ، عاد ، آل ، رجع ، استحال ، تحوّل ، ارتد ، قعد ، ما جاءت (٦) ، وزاد الزمخشري وأبو البقاء العكبري والجزولي وابن عصفور : غدا وراح (٧) ، وألحق الفراء بها ثلاثة أفعال هي : اسحر ، أفجر ، أظهر (٨) .

وهذه كلها دار بينها خلاف بين النحاة ، ويرى فريق من النحاة أن الفعلين (جاء ، قعد) مقصوران على السماع ، ولا يتجاوز بهما الموضع الذي استعملتهما العرب ، وجعله السيوطي مطرداً لقوة الشبه بينهما ، وبين (صار) وخرج على ذلك قولهم : "جاء البر فقيرين وجاء البر صاعين " ، وقولهم : " قعد لا يسأل حاجة إلا قضاها " (٩) .

(١) الخصائص ، أبين جني : ٣٠٦/٢ .

(٢) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، ، طهران ، آفتاب ، د.ت ، ٢ / ٨١

(٣) سورة الكهف ، الآية ٢٨ .

(٤) تفسير البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي ، ج٦ ، ص ١١٤ .

(٥) ينظر: التضمين في النحو العربي، منرة محمود الحمد ، ، بحث منشور في مجلة جامعة الملك سعود ، لسنة ١٩٩٣ ، الرياض ، السعودية ، ص ٤٤٣-٤٤٢ .

(٦) ينظر: همع الهوامع ، السيوطي : ٧١ / ٢ .

(٧) ينظر: كتاب المقدمة ، باب في ذهاب العلم ، أخرجه الدرامي في سنته : ص ٢٤٨ .

(٨) ينظر: كتاب الحدود للفراء : ص ٩٧ .

(٩) ينظر: همع الهوامع ، السويطي ، ٧٤ / ٢ .

وإذا تضمنت الأفعال معنى (صار) فأنها تأخذ حكمها في امتناع مجيء خبرها جملة فعلية فعلها ماض ، لأن الجملة تدل على دوام الفعل في حين أن اتصاله بالزمن الماضي في الخبر يفهم الانقطاع ، وهنا يحصل التناقض في الوقت الذي جوز النحاة مجيء الفعل الماضي خبراً لهذه الأفعال إذا لم ترد بمعنى صار ، واشترط الكوفيون اقتران الفعل الماضي بـ(قد) ظاهرة أو مقدرة ، وذلك لتقريب الماضي من الحال ^(١).

ومن الأفعال المتضمنة معنى أفعال أخرى ، ما يتضمن معنى (نعم وبئس) التي تعني على المدح أو الذم ، وهما فعلاان جامدان لإنشاء المدح والذم ، ملازمان لصيغة واحدة ، مختلفان عن سائر الأفعال بعدم التصرف والجمود ، لما تضمناه من زيادة على معنى الخبر تكمن في المبالغة في معنى المدح أو الذم ، وهذا الرأي واضح عند النحاة ^(٢).

ومما تضمن معنى (نعم ، وبئس) الفعلان (حبذا ولا حبذا) وأصل (حبذا) و(حبب) بالضم أي : صار حبيباً ، فأدغم وألزم منع التصرف والجمود ، واستعمل في المدح ، وتدخل عليه (لا) النافية ، فيستعمل في الذم ^(٣) ، وقد اجتمعا في قول زياد بن منقذ العدوي :

ألا حبذا عاذري في الهوى ولا حبذا الجاهل العاذل ^(٤)

يرى سيبويه ^(٥) أن (حب) فعل ، و(ذا) فاعله ، ويلزم الأفراد والتذكير كونهما كالأمثال التي لا تغير ، ويرى المبرد ^(٦) أنه أسم لزم طريقة واحدة لأن (ذا) يقع على كل شيء فهو اسم مبهم ، ورأي سيبويه في هذا الاختلاف هو الراجح عند النحاة .

الخاتمة

في ختام هذه الرحلة لا بد من الإشارة إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي :-

١- تبين أن التضمين يأتي بمعنى أخذ شاعر قول شاعر آخر وبناء شعره أو بعض شعره عليه .

^(١) ينظر : المصدر نفسه ، ٧٢ / ٢ .

^(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، أبو البركات عبد الرحمن الأنباري ، بيروت - لبنان ، دار الفكر للنشر والتوزيع ن د ، مسألة رقم (١٤) .

^(٣) ينظر: المصدر نفسه .

^(٤) ينظر: جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني، ج ١ ، ص ٧٦ .

^(٥) ينظر: الكتاب ، سيبويه ، ١٨٠ / ٢ .

^(٦) ينظر: المقتضب ، محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٩٩ ، ١٤٣ / ٢ .

- ٢- في هذا الباب من التضمين يتبين أن أول من حام حول هذا المعنى ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء في أكثر من موضع .
- ٣- تعددت فوائد التضمين في الدرس النحوي ، عن طريق الدعوة بالأنس بالعربية عن طريق التعرف على أسرارها ومعانيها .
- ٤- برز دور التضمين في كثير من الآيات القرآنية والأبيات الشعرية ، وذلك من طريق تفسير الظواهر النحوية وتوضيح المعنى .
- ٥- التضمين موضوع مختلف عليه عند النحاة ، فمنهم من قال موضوعا سماعيا لأنه تضمين مجاز ، وأن اللفظ استعمل في غير ما وضع بقرينة ، جعل التضمين سماعيا لان المجاز عندهم سماعي ، ومنهم من قال موضوعا قياسيا لأنه يرى أن التضمين حقيقة ، وهنا جاء قرار المجمع العربي الذي اقر بقياسية التضمين وفقا لشروطه الثلاثة .

المصادر

- ١- الإتقان في علوم القرآن ، السويطي ، المتوفى ٩١١ هـ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق- سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
- ٢- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، مقاتل بن سليمان البلخي ، دراسة وتحقيق : عبد الله محمود شحاته ، طبعة القاهرة ، ١٩٧٥ .

- ٩١- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ابو البركات عبد الرحمن الأنباري ، المتوفى ١١٨١ ، بيروت - لبنان ، دار الفكر للنشر والتوزيع .د.ت
- ٩٢- البحر، ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي ، تحقيق : مصدقي حمد جميل ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠هـ .
- ٩٣- البديع ، ابن المعتز عبد الله ، المتوفى ٩٠٨م ، دار المسيرة ، بيروت - لبنان ، ط٣ ، ١٩٨٢ .
- ٩٤- البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لأبي البركات بن الانباري، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠.
- ٩٥- تاج العروس ، الزبيدي ، المتوفى ١٧٩٠م ، محمد بن محمد بن محمد أبو الفيض ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، د.ت
- ٩٦- تأويل مشكل القرآن ، ابو محمد بن عبد الله بن قتيبة الدينوري ، المتوفى ٢٧٦م ، علق عليه إبراهيم شمس الدين ، د ت ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ٩٧- التضمن النحوي في القرآن الكريم ، فاضل محمد نديم ، دار الزمان للنشر والتوزيع ، السعودية ، ط ١ ، ٢٠٠٥
- ٩٨- التضمن في التراث النقدي والبلاغي ، ربي عبد القادر أحمد الرباعي ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٧.
- ٩٩- التضمن في النحو العربي ، منيرة محمود الحمد ، بحث منشور في مجلة جامعة الملك سعود ، لسنة ١٩٩٣ ، الرياض ، السعودية .
- ١٠٠- تناوب حروف الجر في لغة القرآن ، محمد حسن عواد ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٢ .
- ١٠١- تنوير المقباس ، عبد الله بن جمعة ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢.
- ١٠٢- جامع البيان ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ابو جعفر الطبري ، المتوفى ٣١٠هـ ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، ٢٠٠١.
- ١٠٣- جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني، ج١، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، الطبعة الثلاثون ، ١٩٩٤.
- ١٠٤- حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، الحاتمي ، ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر، المتوفى ٣٨٨هـ ، تحقيق : جعفر الكناني ، دار الرشيد للنشر والتوزيع ، العراق ، ١٩٧٩ .
- ١٠٥- الخصائص ، ابن جني ، المتوفى ٣٩٢هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، د.ت .

- ٩٢- روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت - لبنان .
- ٩٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الألوسي ، المتوفى ١٢٧٠هـ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، د.ت .
- ٩٥- شرح المفصل ، ابن يعيش ، المتوفى ٦٤٣هـ ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان .
- ٩٦- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق : مفيد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٩٨٥ .
- ٩٩- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، المتوفى ١٠٠٢م ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار الملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٤
- ٩٩١- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، المتوفى ٨٤٥م ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني للنشر والتوزيع ، جدة- السعودية .
- ٩٩٥- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، المتوفى ١٤١٤ ، محمد بن يعقوب بن محمد أبو طاهر مجد الدين الشيرازي ، دار البابي الحلبي وأولاده للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط ٢
- ٢٥- القرآن الكريم .
- ٩٩٥- الكتاب ، سيبويه ، عمرو بن عثمان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة - مصر ، ١٩٧٧ .
- ٩٩٥- كتاب الإملاء ، حسين والي ، دار القلم بيروت - لبنان ، د.ت .
- ٩٩٦- كتاب شرحا أبي العلاء والخطيب التبريزي على ديوان أبي تمام دراسة نحوية صرفية، رسالة ماجستير ، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة .
- ٩٩٦- الكشف ، جار الله الزمخشري ، المتوفى ١١٤٣م ، دار الفكر للطباعة والنشر ط ١ ، ١٩٧٧ .
- ٩٩٦- لسان العرب ، أبْن منظور ، المتوفى ١٣١١م ، محمد بن جمال الدين الأنصاري الأفريقي المصري ، تحقيق : عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت
- ٩٩٦- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة للطباعة والنشر ، أستانبول ، ط ١ ، ١٩٩٨
- ٩٩٦- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، جمال الدين الأنصاري ، المتوفى ١٣٦٠ ، تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٩ .
- ٩٩٦- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس الرازي ، المتوفى ١٠٠٤ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠٢ .

- ٩١٥- المقتضب ،محمد بن يزيد المبرد ، المتوفى ٨٩٨م ، تحقيق : محمد عبد الخالق عزيمة ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٩٩
- ٩١٥- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، الحسن بن بشر الآمدي ، المتوفى ٩٨٠م ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، مكتبة الخانجي ، ١٩٩٤ .
- ٩١٦- الموشح ، المزرباني ، المتوفى ٩٩٤م ، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار النهضة للنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٥ .
- ٩١٧- النحو الوافي ، عباس حسن ، المتوفى ١٩٧٩ ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، مصر - القاهرة ، د.ت .